



استطاع أهالي الزيداني إفشال إحدى المحاولات الإيرانية للتغيير الطبيعية لدمشق وريفها، من خلال النظام السوري وحزب الله اللبناني، إذ كشفت المفاوضات الأخيرة بين الإيرانيين وحركة "أحرار الشام" حول أزمة مدينة الزيداني، والتي تدخل المعركة فيها يومها التاسع والأربعين، أنها تهدف إلى تهجير أهالي مدن وبلدات الزيداني ومضايا وبقين وبسيمة إلى إدلب، على أن يتم جلب أهالي بلدتي الفوعة وكفرنا لتوطينهم فيها، الأمر الذي رفضه أبناء الزيداني مختارين "الموت كأشجار الزيداني"، بحسب تعبير أحد أبناء المدينة.

وقال أحد مقاتلي حركة "أحرار الشام الإسلامية" لـ"العربي الجديد" إنّ "في ظل الوضع الراهن والحصار المفروض من مختلف الجهات من قبل قوات النظام وحزب الله، هناك انحسار للخيارات"، موضحاً أنّ "المعارك تستمر حتى موت المصابين، واستئناف بقية المقاتلين؛ المعركة هي معركة حياة أو موت".

وبين أنّ "النظام وحزب الله كثفا الهجوم من المحاور الأربع للمدينة الشمالية والجنوبية والشرقية والغربية، في ظل قصف بري متمثل بالمدفعية الثقيلة وراجمات الصواريخ وقذائف الهاون والدبابات، وأخر جوي بالبراميل والصواريخ"، لافتاً إلى أنّ "المعارك تتركز الآن في حدود 2 كيلومتر، وبالتحديد في ساحة الجسر والحارة".

النظام وحزب الله يرميان بكل ثقلهما على الزيداني:

من جهةٍ، نقل أيمن إحسان، مسؤول قسم الأخبار في شبكة "سورية مباشر"، عن أحد المقاتلين قوله إنّ "النظام وحزب الله يرميان بكل ثقلهما على الزيداني، وهم يحاولان إسقاط الزيداني إعلامياً ونفسياً قبل سقوطها"، مؤكداً لـ"العربي الجديد" أنّ "الخيارات أصبحت قليلة بالنسبة للمعارضة إذا لم يحدث شيء جديد في المنطقة يخفف الضغط عن الزيداني، لكن الانسحاب ليس من ضمن الخيارات المطروحة".

وتأتي أهمية الزيداني من موقعها الاستراتيجي، حيث تبعد نحو 11 كيلومتراً عن الحدود اللبنانية، ونحو 45 كيلومتراً عن دمشق. وتتوسط ريف دمشق الغربي والشمالي، وهي بوابة لدخول السلاح، وطريق إمداد حزب الله بالسلاح، وتعتبر السيطرة عليها الخطوة الأهم في فرض سيطرة الحزب على المناطق الحدودية السورية اللبنانية، وتمكن كذلك القوات النظامية حرية الحركة لعملياتها العسكرية في ريف دمشق، كذلك تُبعد خطراً إغلاق شريان الوحد المتبقي للنظام وهو طريق دمشق بيروت، والأهم من ذلك أنها آخر مناطق تمرّك فصائل المعارضة السورية في الخطوط الخلفية لما يسميه النظام "سوريا المفيدة".

واعتمد النظام السوري سياسة التهجير منذ فترة، بحيث عمل على تغيير الواقع الديمغرافي، فهجر أهالي القصير وعدة بلدات جنوب دمشق كالسيدة زينب والجيرة، مانعاً أهلها من العودة إليها عقب فرض سيطرته عليها، في حين أسكن فيها مجموعات ذات انتماء ديني محدد، كالذين نزحوا من مدينة بصرى الشام، كذلك سمح لمسيحيي معلولة بالعودة إليها ومنع باقي المكونات من أهلها من العودة، في وقت يعتزم تهجير مئات العائلات من منطقة بساتين المزة بحجة إعادة الإعمار، وهناك أمثلة كثيرة على عمليات تغيير ديمografية ممنهجة تم فيما يطلق عليها النظام "سوريا المفيدة".

وضوح الخيارات:

وقال محمد، أحد المقاتلين في صفوف الفصائل المسلحة المعارضة في الزيداني، لـ"العربي الجديد": "انتهى كل شيء"، خيارنا أصبح أكثروضوحاً، ونحن نعي طريقنا، سنقاتل حتى آخر رجل فينا، ونروي تراب مدينتنا بدمائنا، ولن يهنا بها أحد من القادمين الجدد"، لافتاً إلى أن "الإيرانيين عرضوا علينا أن يتم نقلنا من الزيداني ومضايها وبقين وبسيمة إلى منطقة الفوعة وكفريا، على أن توزع علينا البيوت هناك والأراضي بما يماثل ما نملكه في الزيداني، كما طرحوا علينا أن نغير اسم المنطقة هناك ونطلق عليها الزيداني، لكنه لم يضمن لنا عدم تعرضنا للقصف هناك".

وأضاف "ليس عدتنا بكثير، لكننا مؤمنون بعمق جذورنا بهذه الأرض، ولن نتنازل عن أرضنا مهما كانت المغريات، هذه المدينة بناها أجدادنا وشبع ترابها من عرقهم"، وشرح محمد الوضع الميداني قائلاً إن "النظام وحزب الله لا يوفران نوعاً من الأسلحة إلا ويرميán به على الزيداني، وحتى الآن أتيا بكاشة ألغام روسية حديثة"، مبيناً أنه "بالرغم من مئات البراميل والحاويات المتفجرة، غير أنها لم تتسبب باستشهاد ثائر واحد".

وبين أن "المعارضين عقدوا العزم على القتال حتى آخر رجل منهم؛ وهم يدركون حجم القوة الهائلة التي يكيلها النظام وحزب الله على الزيداني، لكن نحن نعدهم أنها ستكون معركة مكلفة وذات خسائر موجعة لهم"، معتبراً أن "المعركة الحقيقة لم تبدأ بعد، وهم ينتظرون أن يبدأ الهجوم البري بفارق الصبر، إذ لن يجنوا أي مكسب من القصف الجوي الصاروخي والمدفعي".

وتحذر المقاتل المعارض عن حالة من الصدمة لدى مقاتلي الحزب، جراء الصمود الذي يبديه مقاتلو الزيداني، من جهة، قال أحد القادة الميدانيين في الزيداني، لـ"العربي الجديد" طلب عدم اسمه، إن "الزيداني وبوضعها الحالي ستتصمد أشهراً طويلة، ولن ينفع التهديد والوعيد"، ذاكراً أن (رئيس النظام السوري) "بشار الأسد أرسل يقول للفصائل في الزيداني إنه فرز 50 ألف جندي للزيداني، وإنه سيرفع العلم فوق السرايا بالمدينة ولو بقي جندي واحد منهم".

سماح النظام للإيرانيين بالتفاوض:

وتساءل القيادي في الزيداني: "قبل رفع العلم، أليس أولى أن يسأل النظام نفسه، كيف يسمح للإيرانيين بالتفاوض مع السوريين من أجل حل أزمة مدينة سورية، أين السيادة، والتي قضوا عقوداً وهم يتنددون بها؟".

وفي الإطار نفسه، قالت إحدى ناشطات الزيداني المعارضات، لـ"العربي الجديد"، "يُعمل النظام حالياً على جمع أهل الزيداني في بلدة مضايا، والذين جاؤز عددهم فيها 50 ألف مدني، جلهم من الأطفال والنساء، إضافة إلى أهالي مضايا،

ومنع دخول المواد الغذائية والطبية بشكل كامل إلى المدينة، في ظل قصف يومي بالبراميل المتفجرة". وأضافت "نحن نعلم أن الموت ليس بعيد عننا، لكن لن يكون موتنا بلا ثمن، وثمن مكلف سيدفعه النظام والحزب"، وتتابعت أن "ورقة المدنيين خاسرة في الزيداني، لأننا أصبحنا نحتسب ببعضنا البعض شهداء، وفي كل حرب هناك ضحايا، ونحن اليوم أكثر إصرار على هذه التضحية".

ولفتت إلى أن "الوضع الإنساني في غاية السوء، جراء الضغط السكاني الكبير في مضایا، بحيث إنها غير مؤهلة لاستقبال هذا العدد الكبير من الناس، ما يجعل المنازل والجواجم مكتظة بالنازحين"، مضيفة أن "البراميل المتفجرة تلاحق المشفى الميداني والمطبخ الخيري في المدينة، وكل ذلك بهدف دفعنا للهجرة أرضنا وهذا ما لن يكون".

ولا توجد إحصاءات دقيقة لخسائر القوات النظامية والحزب في معركة الزيداني، إلا أن متابعين للملف يتحدثون عن خسارتهم مئات القتلى والجرحى إضافة إلى تدمير العديد من العربات والعتاد العسكري، في وقت يبحث النظام عن انتصار يتحدث عنه في ظل الهزائم المتتالية التي نالت منه مؤخرًا، وقد تكون الزيداني النقطة الأضعف في مناطق المعارضة.

العربي الجديد

المصادر: